البيو إتيقا ومبدأ إحترام الحياة

Bioethics and respect for the principle of life

الباحثة بورزاق يمينة

/جامعة مستغانم.

الملخص :

كنتيجة للعلموية الحديثة، عرفت البيولوجيا المعاصرة تطورات كثيرة على المستوى التقنوعلمي مما أثر سلبا على النوع البشري على الرغم من أن أهداف هذا التقدم، والتي كانت مسطّرة إعتبرت منذ آن ليس ببعيد إيجابية، كون أنها إستهدفت إرساء حياة رغيدة، تمنح هذا الكائن من السعادة مايكفيه أن يتمتع بوجوده، فآثار التقنية حالت دون ذالك في عديد المحطات، وطالما أنها تمس مقومات الوجود البشري الأساسية من كرامة، ومساواة، وحرية، فإن هذا كاف لإسقاطه في دوامات اللاعدل والإغتراب خاصة وأننا اليوم ندخل في أزمة جديدة تعد أخلاقية بدرجة أولى، لأنها تمس الطبيعة البشرية للإنسان، وتسعى لتحوير جسده كيفما تشاء بحجة تطوير البحث العلمي، مما أدى إلى ظهور مايعرف راهنا بالهندسة الوراثية، الإخصاب الصناعي، أطفال الأنابيب، التبرع بالأعضاء، الأمهات البديلة، وكلها ذات أثر على الإنسان وتغير من طبيعته .

الكلمات المفتاحية: الأخلاقيات الحيوية، الطبيعة البشرية، الكرامة الإنسانية، تحسين النسل، الحرية والمساواة

Abstract:

As a result of modern science, contemporary biology has witnessed many developments at the technical and scientific level, which have had a negative impact on the human race, although the goals of this progress, which were considered not so long ago as positive, to be enjoyed, the effects of technology have prevented this in many stations, and as long as they affect the essential components of human existence of dignity, equality and freedom, this is enough to drop in the swirls of injustice and alienation, especially today we enter a new crisis is ethical first, human nature that, seeks to modify the body whatever humans development of scientific research, which led to the emergence of that is known at present genetic engineering, in vitro fertilization, IVE, organ donation, alternative mothers, all of the impact on human and change its nature.

Key words: Bioethics - human nature- human dignity- eugenics – freedom and equality

تعد الظاهرة الأخلاقية أمرا ضروريا للبقاء الإنساني والحفاظ على وجوده، فهي تحتكم إلى مجموعة معايير ومبادئ تضمن ترسيخ الفعل الخلقي، وطالما كانت الأخلاق موجودة بوجود الحضارة الإنسانية، وإرتبطت في مجملها بمجموع الأوامر والنواهي التي ينبغي على الإنسان العاقل التحلي بها أو الإمتناع عن فعلها، وفي ظل التطور العلمي الذي صاحب الفترة الحداثية، وتفاقم اليوم ليميز مرحلة ما بعد الحداثة، عرفت الأخلاق منعرجا آخر، فمن الطابع الخرافي الأسطوري في الحضارات القديمة، إنتقلت إلى الطابع النظري التجريدي مع الفلاسفة اليونان، ليتغير منحاها جذريا مع البوادر التقنوعلمية التي تجلّت مع بدايات العصر الحديث، هذا الذي إنعكس على ميادين الحياة البشرية.

نهاية الإنسان هي المعرفة، ولعل تصريح فرنسيس فوكوياما هذا إنما هو دال على الوضع الذي آل إليه الإنسان المعاصر، الذي سعى دائما إلى تطبيق مقولة "إن العلم يفكر"، فعمله على البحث والكشف عن اللامكشوف في هذا الوجود، أوقعه في مأزق أن يكون الحقل التجريبي المباشر لهذا التدفق العلمي. فمساعي الإنسان الكبيرة في معرفة الحقائق، أغفلت عنه أن سعيه الدائم وراء الظفر بجل المعارف هل سيكون دافعا للعيش مستقبلا أم خطوة نحو الإنتهاء بمعنى زوال النوع البشري؟. وكما هو معروف قد ارتبط هذا التدفق التقنوعلمي بروح إقصائية حيث اعتبرت الذات أو الأنا بؤرة لهذا التطور الإنساني، وإنعكست بوادره سلبا على جل ميادين الحياة بما فيها الميدان البيوطبي،وإن الحديث اليوم عن مبدأ إحترام الحياة هو ضرورة يستلزمها الوضع الراهن نظرا للإنتهاكات التي ترتكب في حق الإنسان، وهذا الإحترام يدرج تحت لواءه قيم المساواة، المسؤولية، الحرية، وكذا الكرامة، فهذه الحقوق تشكل الأسس لمبدأ إحترام الحياة. فبين قدرة التقنية على تغيير الممكن والإمكان، وبين ماهو كائن وما ينبغي أن يكون يستيقض الضمير فينا باحثا عن حل لمجموع الإستشكالات التالية: كيف يمكن للمجال البيواتيقي تدارك الآثار الناجمة عن التقنية؟ وهل من منقذ للنوع البشري المهدد في ظل نتامي التقدم التقنوعلمي طالما أن مبدأ إحترام الحياة هو مبدأ تشترك فيه أجيال اليوم والأجيال القادمة؟

في دلالة المفهوم....الأخلاق الحيوية وفرط التقنية.

يعود الإستعمال الأول لمصطلح البيواتيقا* للبيولوجي الأمريكي فان بوتر رينسلاير rensselayer van potterr (1911-2001)، المعروف بتخصصه في السرطان، وكان ذلك في مقال له معنون بـ" :البيواتيقا علم البقاء على قيد الحياة bioethics, the science of survival في إحدى المجلات الأمريكية، ليعيد نشره كفصل لكتابه الصادر سنة 1971 تحت عنوان (الأخلاقيات الحيوية جسر نحو المستقبل bioethisc : bridge to the future) "1، ويرجع إهتمام الكتّاب والفلاسفة المعاصرين بها نظرا للتقدم الحاصل في الميدان المعرفي بالأخص

ميدان الطب والبيولوجيا بالمقابل تراجع الميدان الإتيقي-الأخلاقي ، وهذا ما دفع بقيام علم يزاوج أو يجمع بين علوم الحياة (bio) والقواعد الأخلاقية ومجموع القيم الإنسانية (ethic) في سبعينيات القرن الماضي، إذ تعتبر البيواتيقا " الحقل الأخلاقي الأشد راهنية، تجلت فيه يقظة الفطرة الإنسانية السليمة، لتسير بتوأدة في ملاحظاتها للتطور الذي يسلكه التقنوعلمي في سبيل السيطرة على الجسد البشري" 2 وهذا مايمثل موضوعا واهتماما رئيسيا للبيواتيقا.

وما " الثورة الإتيقية التي إحتلت مواقع الحوار في نهاية القرن العشرين، وبداية الألفية الثالثة إلاّ علامة على التحقق بنهاية الأخلاق بوصفها فلسفة واكبت فلسفات العلم"3 ، لذا فإن القول بالتقدم العلمي على حساب الأخلاق أمر جائز، بالنظر إلى الهوة بين هذين الحقلين، فنحن "الآن مرغمون على الإبتكار من أجل البقاء(...)" 4، من أجل الحياة التي هي حق للجميع ، وهذا ماطرحه كارل أوتو آبل في كتابه الموسوم بالإتيقا في عصر العلم والذي وقف فيه على الهوة بين عالم الإدراك وعالم العمل في إشارة منه إلى ما تعرضت له هيروشيما ونكازاكي عام 1945 من تفجيرات نووية كان الإنسان فيها حقل لتجارب العلم بامتياز، حيث إعتبرها من أوائل الإنتهاكات في حق البشرية جمعاء والتي مست الحق في الحياة وجعلت المستهدفين داخل دوامة من الخراب والدمار المادي والمعنوي(آثار الأشعة النووية ومواد التصنيع الكميائية على النوع البشري جسديا).

يرجع تطور الميدان البيوتكنولوجي إلى ذاتية الإنسان الذي " ينزع إلى التجريب والتجديد، لا في قطاع خارجي عنه، بل في قلب الكيان الإنساني ذاته، ففي المنطقة التي كانت ممتنعة على سلطان الإنسان تتدخل اليوم بوجه الدقة التقنية الإنسانية"5 ، فالإستعمال المفرط للعقل الأداتي ولّد إنعكاسات على الحياة، وأصبح خطرا يهددها،لأن العلم يستطيع أن يجسد أو يحقق أعظم الشرور وأخطرها. فالتقنية في "ذاتها سيطرة (...) سيطرة منهجية، علمية، محسوبة وحاسبة، (...). التقنية هي على الدوام مشروع إجتماعي- تاريخي يسقط projektiertفيها، ما يريد المجتمع والمصالح المتحكمة فيه، مافعله بالناس وبالأشياء" 6. وهذا مايلحق بالصورة السلبية التي رسم على شاكلتها العقل الأداتي كما أشار هربرت ماركيوز" فالتكنولوجيا نفسها هي التي تمثل تسلطا على الطبيعة والإنسان بطريقة منهجية علمية ومحسوبة وماكرة، وأن الأهداف والمصالح المحددة لهذا التسلط لا يتم دسها على التكنولوجيا فيما بعد ومن الخارج، وإنما لهذا يدخل في تصميم بناء الجهاز التقني"7 ، وهذا مايبيّن الوضعية التي وجد فيها الإنسان المعاصر نفسه يتخبط بين هدفه في أن يصبح سيّدا على الكون عن طريق العلم، وبين النتائج التي توصل إليها متمثلة في التقنية التي بسطت سيطرتها عليه، وأصبح مجرد خادم لها لا سيّدا عليها على حد تعبير هيدجر.

وقبل ان ننادي بمبدأ إحترام الحياة الفردية ينبغي أن نضمن وجودا سليما لذواتنا، ومجالا تبرزفيه معالم الأخوة والحب، وهذا المجال لا يمكن أن يكون سوى الطبيعة، فلايمكن لأي كان أن يسعى للحياة دونما أن يضمن مأوى له ، وفي هذا إشارة إلى العالم الخارجي أي الطبيعة التي يجب أن تحضى بزاوية من الإحترام بإعتبار أن الطبيعة هي "كل حياة جديرة أن تعاش، هي حياة تتناغم مع الطبيعة، ولا تتسلط عليها، إذ تمثل (...) كائن حي جدير بالحياة الأفضل وبالإحترام"8 ، بعيدا عن التضخم التكنولوجي والتقدم الصناعي لأن تطبيقات البيوإتيقا لا تنحصر في مجال واحد إنما "تمارس البيوإتيقا على مستويات مختلفة فقد تكون في مستشفى، أو في كلية الطب، وقد تكون بصورة أعم على المستوى الجهوي أو الوطني"9 بمعنى أن نتائج العلم تشمل الإنسان كذات وكوجود حي والطبيعة التي يوجد بها فإنعكاساته غير المرغوبة قد تكون كارثية لذا سعى المجال البيوإتيقي إلى محاولة تخفيف حدة هذه النتائج ويتم هذا ضمن ميادين مختلفة، وجرّاء هذا ظهر مصطلح أخلاقيات البيولوجيا الذي يعتبر مصطلحا "حديث العهد ويقصد به مجموعة القواعد التي يقوم المجتمع بوضعها لنفسه لمواجهة المشكلات الناجمة عن التقدم العلمي السريع، الناجمة عن الثورة البيولوجية الجزيئية، في مجالات الطب، والوراثة وعلم الأحياء والتقانة الحيوية"10، وذلك من أجل الحفاظ على الحياة الإنسانية من خطر العلم الذي لا يتوقف عن التفكير.

إن من بين الأسباب المباشرة في التعدي على الحياة نجد حب التسلط ومحاولة الإنسان في ان يكون سيّدا على الطبيعة ومحركا لها، فـ" ارتبط النمو الخارق للعلم والتقنية بروح إقصائية جعلت من الأنا ركيزة أساسية لإستكمال مسار التطور الإنساني" 11، وقد وقف فرنسيس فوكوياما** على معالجة هذه المسألة وتوصل لنتيجة مفادها أن "نهاية الإنسان هي المعرفة، لكن شيئا واحدا لا يمكن أن يعرفه، إنه لا يستطيع أن يعرف ما إذا كانت المعرفة ستنقذه أم أنها ستقتله، سيقتل نعم لكنه لا يستطيع أن يعرف ما إذا كان قد قتل بسبب المعرفة التي إكتسبها أو بسبب المعرفة التي لم يكتسبها، والتي كانت ستنقذه لو أنه عرفها"12 ، وهي الحيرة التي تجعل من هذا الإنسان صاحب إندفاع نحو ماهو مجهول لأنه في نهاية المطاف حتما سيموت، "فحيمنا تصبح التقنيات قادرة على إختراق حتى التركيبة البايولوجية للإنسان وإمكانية التحكم ببنيته الجسدية، وتكوينه القيمي، فإن هذه المرحلة تهد أعتى مراحل الهيمنه والسيطرة على الإنسان " 13، وهذا ما يفسر جملة الإنتهاكات غير المبررة في حق البشر، وقد ظهر مبدأ إحترام الحياة في واجهة المبادئ الأساسية للحداثة الغربية على الرغم من أن السيطرة اليوم "ليس فقط بواسطة التقنية، وإنما كتقنية، وهذه تقدم للسلطة السياسية المتنامية التي تأخذ في ذاتها مجالات الثقافة كلها، الشرعية الكبرى، وفي هذا العالم تقدم التقنية أيضا، العقلنة الكبيرة للاحرية الإنسان، وتبرهن الإستحالة (...) في أن يكون الإنسان مستقلا بشكل

حياته ذاتيا" 14، وهذا الأخير يشكل إحدى المساعي التي تعمل البيوإتيقا على ضبطها للحد من الإنتهاكات في حق البشر ، فامتلاك الأنا محرك العلم والتقنية كرّس العنف واللاسلم في العلاقات البينذاتية للأفراد وإنتقل الحديث عن حلول الميتا أخلاق والميتا واجب بعد أن عرف الواجب والأخلاق حديثا مسهبا ونهاية.

تستهدف الإنتهاكات التي تميز العلم المعاصر الإنسان ككائن حي وكبينة تتمثل في الجسد الذي يمثل الحيّز التجريبي، فلم يعد " التدخل في الجسد البشري مرهون بقيم الحداثة، التي إرتبطت بأفكار أخلاقية تعني التعقل في إحترام القانون الأخلاقي، بل أطل القرن الواحد والعشرون وقد أصبح الحديث عن الإستنساخ والتدخل الجيني، والإنجاب الإصطناعي، (...) هو حدث الإنسانية الأول " 15، ويمكن وصف هذا الحدث بالعودة إلى الأخلاق لكن ليس بمفهومها العام والشامل، إنما في ميدان الطب والبيولوجيا.

وحسب جيلبير هوتوا Gilbert hottois*** يجب أن يكون "دور البيوإتيقا تنويري قبل كل شيء، و(...) ذلك يعتمد بالطبع على مستويات ممارسة أخلاقيات الحياة" 16، التي تجمع الأنا والآخر على إتفاقات تمنحهما أملا في العيش السليم، لأن هذه العلاقة يمكن أن تتأثر في المجال البيوطبي لأن " تطور التقنيات البيوطبية الهائل والسريع ينتج إنقسامات ونزاعات جديدة بين الأفراد بالإضافة إلى النزاعات التقليدية المصاحبة لكل حياة إجتماعية"17، ويرجع هذا إلى اختلاف الميولات والرغبات التي تتمتع بها كل أنا. وعلى خلاف مايبدو اليوم من إنعكاسات غير مرغوبة للعلم، فقد كان الأهداف المسطرة من تحويل الطبيعة البشرية من حال إلى آخر، ومن صفات وراثية ثابتة إلى أخرى يعتريها التصنيع أو صفات مصنّعة هو الظفر بصحة أطول وحياة أفضل، "فمنذ البدايات الأولى للتلقيح، وأول عمليات الدماغ والقلب المفتوح إلى العلاج الجيني، مرورا بنقل الأعضاء، أو زرع أعضاء إصطناعية لم ينقطع الجدل حول الحدود المبررة التي يمكن أن تبلغها هذه العمليات وأهدافها الطّبية، ثم إن لاشيء من هذا الجدل قادر على إيقاف التكنولوجيا" 18، التي بسطت سيطرتها اليوم.

مبدأ إحترام الحياة.

طرحت البيوإتيقا كم هائل من المفاهيم الإتيقية التي تهتم بالإنسان تحديدا كالإحسان، والإحترام، والكرامة الإنسانية ، والعدالة....الخ، وكلها مفاهيم تحمل شحنة قيمية ومعيارية مبنية على أحقية الذات الإنسانية في التمتع بكافة حقوقها، لأن إهتمام البحث البيوإتيقي منصب على الجسد الإنساني (العقل، النفس، الروح)، هذا المعطى الذي يعرّف على أنه "هو جسم الإنسان، ولايقال لغيره من الأجسام المتغذّية، ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض"19 ، لذا تسعى البيوإتيقا إلى ترسيخ مجموعة المبادئ التي ترى فيها سبيلا ناجعا يضمن حرية إختيارات الإنسان، وقراراته إتجاه ذاته في حالة الصحة والمرض ، والتي تعكس مبدإ

إحترام الحياة الذي يتطلب إستبعاد الطابع المادي على الكائن البشري والتخلي عن الصورة الأداتية التي يمكن أن تغرقه في وحل الإستغلال لأن هدف البيواتيقا أو الأخلاقيات الحيوية إنما ينصب نحو "تقدير التتبعات الأخلاقية والإجتماعية والإنسانية لإستثمار ملكيات الكائن الحي في جميع القطاعات المعنية، وبصورة خاصة قطاعات الصحة والتغذية والبيئة، وتهدف كذلك إلى تحديد القواعد اللازمة لتوجيه التقدم الحاصل فيها"20 ، ومن بين المبادئ الأساسية التي ينبغي الحفاظ عليها مبدأ الكرامة**** الإنسانية التي تعد من الحقوق المقدسة والمتأصلة في الشخص الإنساني ، نادت به النصوص الدينية قبل القوانين الوضعية، ومنه قوله تعالى " وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِي أَدَمَ وَحمَلنَاهُمْ فِي البرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَنْ خَلَقْنَا تَفضِيلَا(70)" 21. فقد جعل الله الإنسان خليفة له في الأرض وميّزه عن باقي الخلق بالعقل، والكرامة الإنسانية من منظور ديني ذات صبغة شمولية عامة تشمل سائر الأفراد بإختلاف أصولهم وفصولهم، ومكاناتهم الإجتماعية.

من العسير تحديد مفهوم مضبوط للكرامة الإنسانية لأنه مصطلح يحوي من اللبس والغموض ما يحول دون ذلك، غير أنه يمكن الإشارة إلى موقف إمانويل كانط الملقب بفيلسوف الكرامة، والذي صرّح بضرورة "معاملة أي شخص على أنه غاية بذاته وليس كوسيلة، ومن ثم فإن الشخص يملك قيمة غير مشروطة(...) ويعرّف (...) الكرامة بأنها القيمة التي تورث الشخص الإنساني في التمتع بمعاملة تجعل منه غاية بذاته لا مجرد وسيلة لغيره"22 ، وقد عبّر من خلال هذا عن قيم العدل والإنصاف وحكم الضمير الإنساني، ومن هذا المنطلق بلور قاعدته الأخلاقية التي حاول جعلها شمولية وكونية مرددا فيها " إفعل دائما بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص الآخرين على أنها غاية وليست أبدا على أنها مجرد وسيلة" 23، ومعنى هذا أن كانط يرى أن الإنسان والغاية هما الشيء نفسه.

وظهرت خلال القرن العشرين قوانين وتشريعات تضمن حقوق البشر في هذا الوجود، "والتي تؤكد على ضرورة إحترام الحق الإنساني المبني على معنى مخصوص للكرامة الإنسانية ، لتكون الذات الإنسانية غاية وليست وسيلة، مؤلفة لمفهوم الشخص الإنساني بوصفه ماهية أخلاقية خالصة"24 ، ومنها ماهو عالمي كبيان حقوق الإنسان الصادر عن هيئة أممية عام 1945، ومنها ماهو دولي متعلق بمحتمع ما كدستور ألمانيا لسنة 1949 والذي تنص المادة رقم 01 فيه" على أنه لا يمكن المساس بكرامة الكائن البشري، وتستلزم جميع السلطات العامة بإحترامها وحمايتها"25 ، من أي تعسف معنوي أو جسدي، وهو الحال كذلك مع دستور الدولة الجزائرية لسنة 1976 "الذي لايكرّس صراحة مبدأ احترام الإنسانية، ولكن بالمقابل تنص المادة39:منه الحريات الأساسية وحقوق الإنسان والمواطن، كماتضمن المادة المادة 48 منه: حرمة الفرد،وتمنع المادة71منه:المساس بالسلامة البدنية أو المعنوية للإنسان" 26 ويمكن أن نشير إلى أن واقع اليوم ومجرياته

من أحداث يؤكد عدم تكريس اللجزائر لهذا المبدأ تحديدا فيما يخص التعامل مع قضية الإضرابات المفتوحة التي دخل فيها القطاع الصحي في هذه الفترة، وقد كان ظهور مصطلح الإتيقا داخل النصوص القانونية للجزائر والذي صدر عام 1990، ويتعلق الأمر بإدخال مصلح الإتيقا الطبية بهدف إحترام القواعد البحثية في المجال العلمي" فالتجربة على الإنسان في إطار البحث العلمي يجبأن تحترم المبادئ الأخلاقية والعلمية التي تنظم الممارسة الطبية، وأنها تجربة تخضع للقبول الحر والواعي للفرد موضوع التجربة، أو في حالة تعذر هذا لقبول ممثله الشرعي"27 ، وتمثل هذه التعليمة إحدى أهم التعليمات التي تنادي بتطبيقها للحفاظ على الكرامة الإنسانية للمريض مهما كانت حالته.

وعطفا على ماسبق يمكن القول أن الكرامة الإنسانية حق لصيق بالوجود البشري، ويحق لكل إنسان التمتع به، وفي المقابل منه نجد تدخل البعد التقني في مصير الإنسان المعاصر، وترتبط الكرامة الإنسانية بالحرية إرتباطا وثيقا، هاته الحرية التي تهدف إلى ترسيخ مبدأ الإستقلالية الذي يبيّن "أن المريض عبارة عن شخص حر في تقرير ماهو خير له، ولا يمكن أن يجبره أحد على الإختيار باستعمال القوة أو إستغلال جهله أو وسائل أخرى مادية كانت أم معنوية من أجل التأثير على خياراته"28، وتتجلى حرية واستقلالية المريض في حالات مرضية كثيرة خاصة تللك التي تتعلق بالتبرع بالأعضاء بالضبط في الحالات المرضية الحرجة التي يهدف منها الطبيب إنقاذ حياة المرضى ومنحهم أملا للتمسك بالحياة، وتعتمد هذه العملية على "إنتزاع الأعضاء الصالحة للزرع من الأموات الحديثي العهد بالوفاة. فإنه يقوم في هذه الحالة على تحديد معايير للموت" 29، لذا فإن المتبرع هو أساس هذه العملية التي يجب أن يتمتع فيها بحق القبول والرضى عن أفعاله، والمتبرع هو الذي تنعكس فيه المشاكل الخلقية التي "تختلف إذا إنتقلنا من المتبرع الحي إلى المتبرع الميت. وبالنسبة إلى المتبرع الحي، لا يقبل التبرع إلا بالأعضاء القابلة للتجدد والتي لن يؤدي إنتزاعها إلى ضرر كبير" 30 خوفا من فقدانه وتعريضه لخطر الموت . ومن بين التدخلات التي تمارس على الفرد البشري هي التدخلات الوراثية تحت مسمى الهندسة الوراثية***** التي تحد من هذه الإستقلالية هو منح الدولة تحت لواء اللبرالية الدور الأهم في "تحديد النسل، وطبيعته، والتلاعب به، إلى الأهل الذي يعدون المغير الأساسي للجينيوم الإنساني للولد، قبل الولادة، وذلك جزءا من العقيدة الليبرالية، التي تنزع نحو الفردنة والحرية الخاصة للأزواج وما يمس أطفالهم" 31، وهنا تظهر الحلقة التزاوجية بين التقنية والعلم وفكرة اللبرالية التي تسعى إلى تأكيد أن جل الأفراد لهم الحق في تسيير حياتهم بشكل جد مستقل، متغافلة على أن "الإنسان المصّنع بيوتقنيا، لا يحدد هويته بنفسه وبمحض إرادته وهذا نقيض للإستقلالية"32، التي تنادي بها، وتعتبر الثورات أو الإنجازات التي حققها العلم في مجال البيولوجيا والتي مسّت بصفة مباشرة حرية الإنسان وزعزعت كيانه، تلك المتعلقة "بالإخصاب خارج

الرحم، الأمهات البديلة، العقاقير التي تعمل على العقل، الهندسة الوراثية لتصنيع الأطفال، لكن هذه الثورة لاتزال في بدايتها، وفيض البلاغات عن الفتوحات الجديدة في التكنولوجيا البيوطبية وإنجازاتها(...) ينذر بتغيرات أكثر خطورة ، ومعناه أن هناك تهديد مباشر للطبيعة البشرية التي تواجه تهديدا مباشر من قبل البيوتكنولوجيا المعاصرة، "33، ومن ثم تدفع بنا إلى مرحلة "مابعد البشرية من التاريخ (...) لأن الطبيعة البشرية موجودة، هي مفهوم ذو مغزى، وفّر إستمرارية وطيدة لخبرتنا كجنس، الطبيعة البشرية مع الدين هما يحددان قيمنا الأساسية" 34 فالدين يبقى المشرع الثابت لقيم الكرامة الحرية البشرية.

وبالإضافة إلى الأمثلة المشار إليها عن القوانين والتشريعات الدولية سالفة الذكر والمتعلقة بإحترام الحياة البشرية، والتي تجلت عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، نجد أيضا قانون نورمبرغ (code de Nuremberg)والذي صدر خلال سنتي 1946-1947، ويعتبر من أهم النصوص القانونية المعاصر التي تسلط الضوء على المجال البيوطبي حيث تمت صياغته "بعد محاكمة التجارب الطبية التي أجراها الأطباء النازيون خلال الحرب العالمية الثانية على الإنسان"35 ليس لسبب سوى السيطرة فسرعان "مايستطيع الجنس البشري أن يأخذ على عاتقه مسألة تطوره البيولوجي ، أن يكون الإنسان بطل التطور، وأن يلعب دور الله (...)" 36 في تسلطه ومحاولة تطبيق تجاربه على الأخر، وقد تلخصت مطالب هذا القانون في:

-"القبول الواعي والإرادي للمريض.

-تطبيق المنهج العلمي الأكثر تطورا.

-تقييم الأخطار التي تواجه المريض مقارنة بالنتائج المنتظرة.

- إمكانية إصلاح النتائج المنتظرة"37 ، حيث تلخص هذه النقاط الأربع مايحق للإنسان التمتع من به كرامة وحرية ومساواة بإعتبار أن الحقوق هذه تعكس أهم متطلبات النوع البشري خاصة اليوم، فإحترام كرامة الإنسان تمكنه من إجتياز الرؤية الأداتية التي جعلته وسيلة لغايات أخرى، وإسقاط البعد الإنساني الحقيقي على ذاته، وهذا ما يجسد حريته التي تنعكس في الأفعال التي يقوم بها داخل الفضاء العام وما يحوية من تقدمات وإنجازات عى مستويات مختلفة، لكن الحرية هذه مقرونة دائما بتكافؤ الفرص وتساويها بين البشرية في إطار إحترام القواعد والأسس والمعايير التي ينبني عليها هذا الوجود، وإحترام أيضا أطر البحث العلمي، لهذا يجب أن تتظافر كل الجهود للحفاظ على النوع البشري وتفادي إستفحال الظاهرة التقنية التي تبسط سيطرتها على ميادين البحث، خاصة الميدان البيولوجي، والسعي إلى تأطير البحث العلمي حتى لا نعرض حياة الإنسان لخطر الموت حتى لو كان هذا الموت موتا رحيما، فكلنا ذوات تستحق العيش، وتحتاج إلى إحترام هذه الحياة،

لذا لابد من محاولة تطبيق وتجسيد ما تمت المواضعة والإتفاق عليه في القوانين والمراسيم التي تدعوا إلى إحترام مبدأ الحياة كونة شامل لباقي الحريات والحقوق.

الهوامش:

*االأخلاقيات الحيوية:la bioéthique مصطلح مركب من كلمتين bios التي تعني الحياة و ethosالتي تعني إتيقا.وبالتالي فإنه يعني إتيقا الحياة ، وهو جزء من الفلسفة التي يعنى بدراسة أخلاقية السلوك الإنساني، وقد فرض المصطلح الجديد نفسه داخل الأوساط العلمية كونه يعبر عن الفضاء البحثي الجديد المتمثل في النظرة الإتيقية في مجال الإكتشافات البيوتقنية وتطبيقاتها على الإنسان. (أنظر: مختار غريب، البيواتيقا بين البيوتقنية والمبادئ الإيتيقية، ص72. بالتصرف).

1-عمر بوفتاس البيواتيقا نحو فكر أخلاقي جديد، ضمن: مجلة أوراق فلسفية، العدد 36، 2013، مصر، ص9.

2-نورة بوحناش،الإجتهاد وجدل الحداثة، منشورات الإختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، دار الأمان، الرباط، دار كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2016، ص204.

3- المرجع نفسه، ص .145

4-جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر،تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، ط1، 2001، ص 16.

5-المرجع نفسه، ص 18.

6-يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإديولوجيا، تر: حسن صقرمنشورات الجمل ، كولونيا، ط1، 2003، ص45.

7- توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، تر: سعد هجرس، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، بنغازي، ط2، 2004، ص.79

8- نورة بوحناش، الإجتهاد وجدل الحداثة ، مرجع سابق، ص 174.

9- محمد جديدي، حوار مع حيلبير هوتوا gelbert hottois الفلسفة، البيواتيقا والحضارة التقنو علمية، ضمن: مجلة الدراسات الفلسفية، العدد 03، 2014، ص244.

10- فواز صالح، إحترام الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية دراسة قانونية مقارنة، ضمن: مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية، المجلد 27، العدد الأول2011، ص247.

11- نورة بوحناش، الإجتهاد وجدل الحداثة، مرجع سابق، ص 183.

** فرنسيس فوكوياما:أستاذ إقتصاد بجامعة جونزهوبكنز، وعضو مجلس الرئيس الأمريكي للأخلاقيات البيولوجية، وكان عضو الوفد الأمريكي في المباحثات المصرية الإسرائيلية حول الحكم الذاتي للفلسطينيين، ويعتبره البعض أكبر فلاسفة علم الإجتماع

بأمريكا، ذاع صيته بعد أن نشر فكرته عن نهاية التاريخ في مقال له عام 1989.(أنظر: فرنسيس فوكوياما، نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجية، تر: أحمد مستجير، ص08.من المقدمة).

12- فرنسيس فوكوياما، نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجية،تر: أحمد مستجير، إصدارات سطور، (د.ب)، ط1، 2002، ص ص 06-07.

13- علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، منشورات الإختلاف، الجزائر، دار الأمان الرباط، ط1، 2011، ص196.

14- يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإديولوجيا، مرجع سابق، ص47.

15- نورة بوحناش، الإجتهاد و جدل الحداثة، مرجع سابق، ص191.

*** جيلبير هوتوا: (1949-..) فيلسوف وجامعي بلجيكي مختص في مسائل أخلاق التقنوعلمية، أستاذ بالجامعة الحرة ببروكسل وعضو في العديد من اللجان الإتيقية، من مؤلفاته: فلسفة اللغة عند لودفيغ فتجنشتاين (1976)، من أجل أخلاق لعالم تقني (1984)، مجالات في فلسفة البيواتيقا والبيوسياسة (1999)،ما البيواتيقا (2004).(أنظر الحوار ص240).

16- محمد جديدي، حوار مع جيلبير هوتوا Gilbert hottois الفلسفة، البيواتيقا والحضارة التقنوعلمية، مرجع سابق، ص 243.

17- مختار غريب، البيواتيقا بين البيوتقنية والمبادئ الإتيقية،إبن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد، بيروت، ط1، 2018، ص76.

18- يورغن هابرماس، الطبيعة البشرية نحو نسالة لبيرالية، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، 2006، ص.35

19- مداسي مريم، مبدأ الكرامة الإنسانية في البيواتيقا، ضمن: مجلة الحوار الثقافي،، العدد9، ربيع وصيف 2016، مستغانم، ص100.

20- فوازصالح، مبدآ احترام الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية دراسة قانونية مقارنة، مرجع سابق، ص 248.

****الكرامة: بالعودة إلى التعريفات الموجودة في القواميس العربية والأبحاث المتعلقو بهذا المفهوم نجد"كرم فلانا كرما وكرامة، إذا أعطى بسهولة وجاد(...) فهو كريم(...)، أما الكرامة فمعناها في اللغة الأمر الخارق للعادة غير المقرون بالتحدي، وكرم السحاب جاد بمطره، وكرّم المطركثر ماؤه.(...)، والكرامة هي الشرافة، وكرامة النفس ترفّعها وتصوّنها، والكرامة كون الشيء عزيزا(...)(أنظر: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيسكو-، ط2، 2015، ص ص 10-11.)

21-القرآن الكريم، سورة الإسراء.

22- فوازصالح، مبدآ احترام الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية دراسة قانونية مقارنة ، مرجع سابق ص 251.

23- عبد العزيز بومسهولي، نهاية الأخلاق، أو الإنعطاف نحو المبدأ الإتيقي المحايث، دار الحرف للنشر والتتوزيع، المغرب، ط1، 2009، ص11.

24- نورة بوحناش،الإجتهاد وجدل الحداثة، مرجع سابق، ص207.

25- فوازصالح، مبدأ الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية دراسة قانونية مقارنة، مرجع سابق، ص255 .

26- المرجع نفسه، ص 255.

27- مختار غريب، البيوإتيقا بين البيوتقنية والمبادئ الإتيقية، مرجع سابق، ص83.

26- المرجع نفسه، ص 45.

27- أحمد عبد الحليم عطية، البيواتيقا، ضمن: مجلة أوراق فلسفية، العدد 36، 2013، مصر، ص32.

28- المرجع نفسه، ص32.

29- علي عبود المحمداوي، الأشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، مرجع سابق، ص169.

30- المرجع نفسه، ص171.

*********الهندسة الوراثية: إتجاه جديد نابع من التكنولوجيا العلميةالمتطورة المعاصرة، يهتم بالعنصر الوراثي في حياة الإنسان وتحسين تركيب الجنين أو مقاومة العيوب، والأمراض الوراثية التي تنتقل من الآباء والأمهات، إلى الأبناء.(أنظر: أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1993، ص48.)

31- فرنسيس فوكوياما، نهاية الإنسان وعواقب الثورة البيوتقنية، مرجع سابق، ص29.

32- المرجع نفسه، ص31.

33- مختار غريب، البيوإتيقا بين البيوتقنية والمبادئ الإتيقية، مرجع نفسه، ص80 .

34- يورغن هابرماس، الطبيعة البشرية نحو نسالة لبيرالية، مرجع سابق، ص.31

35- المرجع نفسه، ص31.

36- مختار غريب، البيواتيقا بين البيوتقنية والمبادئ الإتيقية، مرجع نفسه، ص80 .

37- مختار غريب، البيوإتيقا بين البيوتقنية والمبادئ الإتيقية، مرجع نفسه، ص81.